

# انقلاب عظيم

في السياسة الدولية

## روسيا البلشفية في عصبة الأمم

للأستاذ محمد عبد الله عنان

وتحاملها فيما اقتضته من العراق شرطاً لالتحاقها بالعصبة ، وموقفها من أمانى فلسطين وسوريا ؛ ولا زلنا نذكر بالأخص موقفها المقيم من مسألة نزع السلاح وفشلها الذريع في معالجتها ؛ وسواء أكانت روسيا السوفيتية مخلصاً في رأيها بالنسبة لعصبة الأمم أم كانت تملية بواعث السياسة فقط ، فإن العصبة لم تحقق خلال هذه الأعوام العديدة من حياتها شيئاً مما علق عليها من الآمال في إنصاف الشعوب المظلومة أو تخفيف الخسائر القومية أو توطيد دعائم السلام .

تجاوز الملائق الدولية في تلك الآونة أعظم انقلاب عرفته منذ الحرب الكبرى ، وتستمد عصبة الأمم لاستقبال أعظم حدث عرفته في تاريخها ؛ فنذ أشهر يجري الحديث بأن روسيا السوفيتية ستدعى إلى الالتحاق بعصبة الأمم ، وستندو عمداً قريب عضواً فيها ، وتتمتع بكرسى دائم في مجلسها . وقد كان ذلك مثار دهشة وريب ممن يعرفون ظروف روسيا السوفيتية ، وتزوعها إلى التباعد عن الدول الغربية ، وما تقضى به طبيعة نظمها من مخاصمة الحكومات « الرأسمالية » ، ومناوأتها بكل الوسائل الخفية ، والعمل على هدمها وهدم النظم التي تحميها ، وإضرام نار « الثورة المالية » . وقد كان للبلشفية في عصبة الأمم منذ قيامها رأى يناقض ما يرويه اليوم كل المناقضة ؛ فقد كانت في نظرم عصابة من الدول الرأسمالية تحركها هذه الدول وتوجهها كيف شاءت ، وهيئة استعمارية مناققة تعمل من وراء ستار لتحقيق غايات الاستعمار الغربي ، وأداة لتمكين نير الأمم القوية الغالبة من اعتناق الأمم الضعيفة المملوكة ؛ وكانت الحوادث تؤيد كثيراً من هذه الريب الغنون ، فلم تر الأمم الضعيفة ولا سيما الأمم الشرقية شيئاً من الأنصاف على يد عصبة جنيف ، بل ابتدعت لها نظام الانتداب أو الحماية المقتمة لتسبغ على استعبادها صفة مشروعة ، ولم تحاول مرة أن تحد من مزاعم الدول الاستعمارية أو أطباعها — وهذه الدول هي بينها التي تسيطر على مجلس العصبة — ولم تجرؤ مرة على أن تصدر في أي المسائل التي طرحت أمامها أي قرار يناقض آراء هذه الدول أو غاياتها ، ولا زلنا نذكر موقفها من النزاع بين تركيا وانكلترا على كردستان ، والنزاع بين الصين واليابان على منشوريا ، وخذلانها حينما احتلت إيطاليا كورفو ،

والآن ماذا حدث ؟ لقد تطورت الملائق الدولية خلال الأعوام الأخيرة تطوراً سريعاً مذهشاً ؛ وأخذت روسيا تخفف من خصومتها للدول الغربية شيئاً فشيئاً ، وأخذت الدول الغربية في التقرب من حكومة موسكو البلشفية ، بعد ما لبثت أعواماً تحاول القضاء عليها ، وتحشد لناوأتها كل ما استطاعت من القوى الخفية والظاهرة ؛ وعاد عهد التوازن الأوربي القديم وعهد المهادتات السرية والمحالقات السياسية والمكرية ، وغاض ذلك الأفق المصطنع الذي ساد فيه حديث السلام والتضامن الدولي مدى حين . وقد كان من الطبيعي أن يمتد التحاق روسيا بعصبة الأمم عاملاً في صفاء الأفق الدولي ، وتعضيد قضية السلام ، لأن تباعدها عن الدول الغربية كان عقبة دأمة في سبيل تقدم التفاهم الدولي واستقرار الملائق الدولية ، وعدم اعترافها بالعصبة يعرض جهودها في سبيل السلام للأهيار : هذا على الأقل ما كان يتردد في دوائر جنيف كلما حبط مسمى في سبيل التفاهم أو مجهود في سبيل نزع السلاح . ولكن التحاق روسيا اليوم بعصبة الأمم يدل بجمان أخرى . وروسيا لم تغير رأيها في العصبة ولا في الدول « الرأسمالية » التي تتكون منها ؛ ولكن روسيا اليوم تعلق على هذا الانضمام آمالاً كبيرة وترى أنه يحقق لها من المصالح ما لم تحققه سياسة القطيعة والزلزلة ، والسياسة الغربية التي تسمى منذ حين لتحقيق هذا الانضمام تحاول أن تقنننا بأنه يزيد العصبة قوة ويزيد كلمة أوروبا توحيداً ، ويقرب أمد التفاهم في مسألة نزع السلاح ، ويعاون على استقرار السلم في أوروبا ؛ ولكن الحقيقة أن هذه النظرية القديمة قد تطورت اليوم ، وما ترشيح روسيا لدخول العصبة الا نتيجة لسياسة التوازن الأوربي الجديدة التي ظهرت

التي تؤازرها عسكرية قوية تهدد أملاكها ومصالحها أعظم تهديد ، وروسيا تريد من أجل ذلك أن تصق خصومتها مع الدول الغربية لكي تستطيع أن تفرغ لقسامة هذا الخطر . وأما عن موقف الدول الغربية إزاء روسيا السوفيتية ، فإن هذه الدول قد نذرت خصومتها المطلقة القديمة لروسيا بمد ما اقتضت بأنه يستحيل عليها أن تسحق الثورة البلشفية ، وبمد ما تطورت البلشفية ذاتها وتركت كثيراً من نظيرها القديم وآثرت جانب الاعتدال ، وأصبحت روسيا تميل إلى العود إلى حظيرة أوروبا القديمة والتفاهم مع الدول الغربية وإعطاء بعض الضمانات السياسية والاقتصادية ، وقد كانت السياسة الفرنسية روح هذه التطور كما بينا لأن فرنسا أشد الدول اهتماماً باكتساب تلك القوة العظيمة في شرق أوروبا ، لتمود كما كانت قبل الحرب بمصدراً للخطر على ألمانيا زعيمها ويشغلها . وقد نجحت السياسة الفرنسية في إقناع انكلترا وإيطاليا بتعضيد التحاق روسيا بالعصبة ، وهذه الدول هي التي تسيطر على مجلس العصبة ( بعد انسحاب اليابان وألمانيا ) وجرت مفاوضات تمهيدية بين فرنسا ومظم الدول المنضمة إلى العصبة لتوافق على قبول روسيا ، واستطاعت أن تحقق الأصوات اللازمة لذلك ، ويشترط لقبول الدولة المرشحة أن يؤيد قبولها ثلثا أصوات الجمعية العمومية واليك ما ورد في ميثاق العصبة بخصوص ذلك .

« كل دولة ، أو ملك مستقل ( دومينيون ) أو مستعمرة تحكم نفسها حرة لم يرد اسمها في الملحق ( ملحق الدول المنضمة ) تستطيع أن تقدم عضواً في العصبة إذا وافق على دخولها ثلثا الجمعية العمومية بشرط أن تقدم الضمانات اللازمة على إخلاص مقاصدها وعلى مراعاة تمهيداتها الدولية ، وأن تقبل القواعد التي تقرها العصبة بخصوص القوات والتسلحات العسكرية والبحرية والجوية » ( المادة الأولى الفقرة الثانية )

« تتألف الجمعية العمومية من ممثلي أعضاء العصبة ، وتجتمع في أوقات معينة أو في أي وقت آخر إذا اقتضت الظروف ذلك في مركز العصبة أو في أي محل آخر يختار لذلك ، ويختص الجمعية بالنظر في كل مسألة تدخل في دائرة نشاط العصبة أو تتعلق بسلام العالم ، ولا يجوز لأي عضو في العصبة أن يختار لتمثيله في الجمعية أكثر من ثلاثة مندوبين ولا يحق له أكثر من صوت » ( المادة الرابعة )

بوادرها قوية منذ قيام الحركة الوطنية الاشتراكية في ألمانيا وظهورها بظهور المهدي لسلام أوروبا ، وفشل مفاوضات نزع السلاح وعود فرنسا صراحة إلى السياسة القومية القديمة بحجة الدفاع عن نفسها أمام الخطر الألماني . ومنذ عامين ونحن نشهد نتائج هذا التطور الجديد ، في وقوع الجفاء بين ألمانيا وروسيا أولاً ، ثم انتهاز فرنسا لهذه الفرصة وتقربها من روسيا ، وتقامم الدولتين على إحياء التحالف الفرنسي الروسي القديم الذي كان قائماً قبل الحرب ، ثم مساعي السياسة الفرنسية المتواصلة في جمع كلمة دول أوروبا الشرقية حولها في كتلة واحدة تخاصم ألمانيا جميعاً ، وحملها حليفاتها دول الاتفاق الصغير على الاعتراف بروسيا السوفيتية ، وسعيها أخيراً في ضم روسيا السوفيتية إلى عصبة جنيف .

ولروسيا صلة قديمة بعصبة الأمم وإن لم تكن من أعضائها ، فقد اشتركت في لجنة نزع السلاح ومؤتمراته بصفة رسمية منذ سنة ١٩٢٥ ، وقدمت إليها عدة مشاريع لنزع السلاح كانت جميعها مثار البحث والناقشة ولكنها رفضت جميعاً ، وكانت السياسة الروسية خلال هذه الأعوام تثار على خصومتها لعصبة الأمم وعلى الطعن فيها وفي نزاهة مقاصدها ، وتتخذ من فشل مؤتمر نزع السلاح دليلاً على نفاق الدول الغربية وتمسكها بسياسة الحرب القديمة ، وبالأخص على انتهازها بروسيا السوفيتية . أما اليوم فإن روسيا لا تأبى التفاهم مع الدول الغربية والأندماج في عصبة جنيف . ووراء هذا التطور الخطير في سياسة البلاشفة عاملان جوهريان : الأول حوادث الشرق الأقصى ، والثاني موقف الدول الغربية من روسيا السوفيتية ، فأما في الشرق الأقصى حيث تسيطر روسيا على أراضٍ ومصالح عظيمة ، فقد نشط الاستعمار الياباني في الأيام الأخيرة نشاطاً عظيماً وانتزع إقليم منشوريا من الصين ، ولم تخفل اليابان باحتجاج الدول الغربية أو تدخل عصبة الأمم ، وآثرت أن تنسحب من العصبة لكي تكون مطلقة اليدين في تنفيذ برنامجها الاستعماري ، ولم تحجم عن أن تصرح بأنها تعتبر الصين ميدان نشاطها وتوسمها دون غيرها من دول الغرب ، وأنها ستقاوم كل محاولة جديدة تقوم بها الدول الغربية لتوسيع نفوذها أو مصالحها في الصين ، ولما كانت روسيا تجاور اليابان في الشرق الأقصى في أكثر من منطقة ، فإن هذه السياسة اليابانية الجديدة

واندماجها في زمرة الدول الغربية مغزى عظيم فيما يتعلق بمصير روسيا البلشفية ذاتها ، فقد كان شعار موسكو منذ ظهر البلشفية في سنة ١٩١٧ ، خصومة العالم « الرأسمالي » كله ، والعمل على إضرام نار الثورة العالمية في سائر جناباته ؛ ولم يقبل البلاشفة في ذلك أي مناقشة أو هوادة ، وكانت الشيوعية تتقدم في غزو الدول الصناعية تقدماً حثيثاً ، وتوازرها موسكو بكل ما وسعت . ولكن البلشفية لم تستطع أن تعيش طويلاً مثلها . وغالبها التطرفة ولم تلبث أن تأثرت بقطيعة العالم ومقاومته ، واضطرت أخيراً أن تسلك مسلك الاعتدال سواء في سياستها الداخلية أو الخارجية . ورأى سادة موسكو أن موارد روسيا البلشفية وقواها المادية والمعنوية تتحطم تبعاً أمام ضربات الدول الغربية ، وأن روسيا لا تستطيع الحياة إلى الأبد في ظل نظام يؤلب عليها العالم كله ، ومحرمها من كل عطف وتعاون ، ففتحوا إلى تغيير السياسة القديمة ومدوا يدهم إلى الدول الغربية ، ولم تهمل الدول الغربية الانتفاع بهذه الفرصة فمدت يدها إلى روسيا وجذبتها إلى حظيرتها . فالآن نستطيع أن نقول إن البلشفية قد دخلت في دور انحلالها ، وأنها تنزل شيئاً فشيئاً عن مثلها وغاياتها الثورية التطرفة ، وأن روسيا تعود شيئاً فشيئاً إلى حظيرة الماضي ، في ظل نوع من اشتراكية الدولة لا يلبث أن يستقر أو يختفي مع الزمن .

وترى الدول الغربية أن دخول روسيا في المعصبة يقويها كهيئة دولية ويزيد في هيبتها ونفوذها في سير السياسة الأوربية خصوصاً بعد أن غادرتها اليابان ثم ألمانيا . وقد يكون ذلك صحيحاً من الوجهة المحلية ، لأن المعصبة تتخلص بذلك من خصم قوى كان يشتد في مناوأتها ، وتكسب نفوذاً جديداً في مسائل أوربا الشرقية . ولكن المعصبة لا تكسب كثيراً من الوجهة العامة ، ذلك لأنها قد خسرت كثيراً من هيبتها ونفوذها خلال الأعوام الأخيرة ، ونستطيع أن نقول إنها فقدت نهائياً ثقة العالم كعامل في توطيد السلم العالمي ، وأداة من أدوات التفاهم الدولي والمداولة الدولية ؛ وقد اختفت مثل المعصبة القديمة بعد تحبط وفشل استمرارها منذ قيامها ، وبعد أن قدمت الأدلة العملية العديدة على أنها لا تستطيع العمل إلا في الدائرة التي ترسمها لها الدول المستعمرة السيطرة على مجلسها وعلى إرادتها .

وأما عن مجلس المعصبة فقد ورد في الميثاق ما يأتي : « يتكون المجلس من ممثلي الدول الكبرى المتحالفة والمشاركة ، وكذلك من ممثلي أربعة آخر من أعضاء المعصبة . وهؤلاء الأربعة يختارهم الجمعية حسب رغبتها وفي الوقت الذي يختاره لذلك . . . ويستطيع المجلس بموافقة أغلبية الجمعية أن يمين أعضاء آخرين من أعضاء المعصبة يكون لهم كرسى دائم في المجلس ، ويستطيع بنفس الطريقة أن يزيد في عدد أعضاء المعصبة الذين يختارهم الجمعية للشغل في المجلس » ( المادة الرابعة فقرة أولى وثانية ) .

أوردنا هذه النصوص لتبين الاجراءات اللازمة للاتحاق دولة ما بالمعصبة ، ثم لتبين أهمية الكرمي الدائم في المجلس ، ذلك أن روسيا مرشحة للفوز بكرسى دائم في المجلس إلى جانب باقي الدول العظمى ، وقد تمت الاجراءات الخاصة بترشيح روسيا في الجمعية العمومية ، وحصلت روسيا على أكثر من ثلث أصوات الجمعية ، ولم يعارض في قبولها سوى ثلاث دول أو أربع هي سويسرا وهولندا والأرجنتين وبلجيكا ، وعقب ذلك دعوة المعصبة لروسيا للانضمام إليها وقبول روسيا لهذه الدعوة ؛ وبذا تمت الاجراءات وغدت روسيا عضواً في عصبة الأمم ، أو بعبارة أخرى في الهيئة التي شد ما خصمتها وحملت عليها ، ومما يلفت النظر أن هذه الاجراءات تجري وروسيا بعيدة عنها لا تحرك ساكناً ولا تصرح بشيء . ولا تطلق صحفها بكلمة ، ولتصنيف المشرف على الشؤون الخارجية الروسية يقيم في أحد مصابف فرنسا الجنوبية . ذلك أن هذه الحركة كلها من صنع فرنسا وهي التي تحمل كل أعبائها وتسهر على تنفيذها ، وقد جرت جميع المفاوضات بشأنها وراء الستار مما أدى إلى احتجاج بعض أعضاء المعصبة ، فقد حمل مستردى فاليرا ممثل لإرلندة على هذه السرية ، ونوه بما فيها من الشذوذ . ولكن كل شيء يسير مع ذلك وفقاً للبرنامج المرسوم .

ومن المعروف أن دخول تركيا في المعصبة انما هو نتيجة لدخول روسيا فيها . وقد كانت تركيا تحذو حذو حليفها الكبيرة في موقفها إزاء المعصبة وتنتظر إليها بنفس نظرتها ، وهي الآن تسير وراءها في سياستها الجديدة .

\*\*\*

ولهذا التطور الذي انتهى بإقبال روسيا على عصبة الأمم